المساواة فى عالم المادة لا وجود لها، فكل مستويات التطور موجودة داخل الجنس البشرى. الأقوياء القادرون على مواجهة عقبات الطريق إلى الله يسافرون بمفردهم، ولكن من الأفضل السفر فى جماعة منظمة، ومحاولة الفهم، وهذا ما تقدمه "الأديان" علامات على الطريق، وهذا بالتأكيد أفضل، وهكذا يعظ البعض بالمحبة، وآخرون بنهج طريق التوحيد، والبعض الآخر يستوحى تعاليمه من الذاكرة الكلية، والبعض الآخر يضع برامج للتطور. كل هذا طيب وحسن أيا كانت الديانة ووسيلة السفر؛ فإن طريق التطور ينفتح لمن يستطيع أن يدرك ويفهم، ولكن مع ذلك تظهر فى الأفق مشكلة، وهى مشكلة رئيسية:

كل الديانات الكبرى المعروفة تنهل قوتها من الحكمة الموحاه عن الملأ الأعلى لتغير طريق البشرية، وبما أن المعنى فى النهاية هو الإنسان، فإن أسلوب تطبيق هذه التعاليم من جانبه هو الذى يحدد اتجاهه، إما إلى أعلى وإما إلى أسفل..

فكل ما يوحد، ويولد الحياة، يدفعه إلى تحقيق معناه فى التيار الأعظم، علما بأن الحكمة الموجودة فى كل الأديان توحد الإنسان فى اتجاه الحياة العضوية.. وكل ما يفرق، ويخلق المواجهة والتنافر، يسير ضد تيار الحكمة والوحى، إنها الشهوات التى تحرك وتستخدم النوازع الطبيعية فى الإنسان للسيطرة، والخوف، مع أن الإنسان لا ينبغى أن يخاف إلا من نفسه.

إن من ينهل من القوة الكلية لا يخشى شيئا لأنه مسلح فى مواجهة كل ما هو غيب عليه، إن من يملك القوة لا يبحث عن المواجهة، بل يبحث عن الحياة ويعيش بكل بساطة، كالعوام الذين لا يملكون العقيدة، أما العقيدة فهى تأتى فى وقتها دون أى تدخل إرادى من الإنسان، إنما تأتى وهبية.

خدمة الله لا تعنى بأى شكل من الأشكال نشر الكراهية والخوف والعنف، إن الطبيعة تملك وسائلها من القسوة، وواجب الإنسان السيطرة عليها، والتحكم فيها على كل المستويات.. وعلى ذلك لا تكون "خدمة" الرب بإطلاق العنان لنوازعه الوحشية، ولكن بالسيطرة على "شياطينه"، وتطوير معانى النبل فيه.. وقدرته على الحب..